الحقول الدّلاليّة في شعر عمر أبو ريشة
حقل الحبّ أنموذجاً

د. بانا بلال شباني*

د. محمّد حسن يونس**

هبه علي ضامر***

ملخّص

تشكّل العلاقات الاجتماعيّة والإنسانيّة ركيزة أساسيّة في بناء تجربة الشّاعر عمر أبو ريشة الوجدانيّة؛ إذ يتبلور الوعي الإنسانيّ بالذات والآخرين من خلال تجسيد القيم والمعايير والهوية، ولاسيّما في نطاق التّصريح بتجربة الحبّ التي اكتنز لها الشّاعر علاقات عديدة في ترادف وتنافر وتضاد ومشترك لفظيّ، شاركت في الكشف عن الحبّ بوصفه قيمة إيجابيّة لها رواسبها المختلفة في أعماق الشّاعر.

لقد أحسّ الشّاعر في سياق الحبّ بالمفارقة بين عالمه الوجدانيّ المُشبع بالحبّ، وما يمثله من إحساس دافئ، وبين الفراق بوصفه تجربة مؤلمة أساسها البُعد عن الأحبّة، والإحساس بالألم والقهر والخيبة في لحظات البُعد عنهم، فصاغ هذه التّجربة عبر تماهي حقول عديدة، أبرزها: حقلا الخيبة، والجمال؛ إذ اندمج هذان الحقلان في مشاهد الحبّ، ممّا عمّق التّناسق الرّوحيّ، وسما بالذّات الشّاعرة إلى مراتب التّنامي الرّوحيّ.

وأبرزت العلاقات الدّليّة في سياق التّعبير عن الحبّ حجم الألم الكبير الذي أحسّ به الشّاعر في حضرة الحبّ، ممّا أشعل معاناته، وزاد إحساسه بها، وقد كثرت الألفاظ الدّالّة على الحبّ في شعره، وتنوّعت ما بين ألفاظ دالّة على الحبّ، وأخرى مرتبطة بالخيبة، وثالثة مرتبطة بالجمال.

الكلمات المفتاحيّة: الحقل، الدّلالة، الحبّ، العلاقات، عمر أبو ريشة.

*أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة اللاذقيّة، اختصاص فقه اللغة .
** مدرّس في قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة اللاذقيّة، اختصاص علم اللغة.
*** طالبة دكتوراه – قسم اللّغة العربيّة – كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة اللاذقيّة– اللاذقيّة

Semantic Fields in the Poetry of Omar Abu Risha The Field of Love as a Model

Dr.. Bana Bilal Shabani*
Dr.. Muhammad Hassan Younis**
Heba Ali Damer***

Summary

Social and human relationships form a fundamental pillar in building the emotional experience of the poet Omar Abu Risha; as human awareness of self and others is crystallized through the embodiment of values, standards and identity, Especially in the context of expressing the experience of love, for which the poet accumulated many relationships in synonymy, dissonance, contrast, and shared vocabulary, which contributed to revealing love as a positive value with its various sediments in the depths of the poet.

In the context of love, the poet sensed the paradox between his emotional world, saturated with love and the warm feelings it represents, and separation as a painful experience based on being away from loved ones, and feeling pain, oppression, and disappointment in moments of being away from them, He shaped this experience through the convergence of several fields, most notably: the fields of disappointment and beauty; as these two fields merged in the scenes of love, which deepened the spiritual harmony and elevated the poetic self to levels of spiritual growth.

The contrasting relationships in the context of expressing love highlighted the great pain that the poet felt in the presence of love, which ignited his suffering and increased his feeling of it. The words indicating love were numerous in his poetry, and varied between words indicating love, others related to disappointment, and a third group related to beauty.

Keywords: field, meaning, love, relationships, Omar Abu Risha.

*Assistant Professor in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Latakia University, specializing in Philology.

** Lecturer in the Arabic Language Department, Faculty of Arts, Latakia University, specializing in linguistics.

*** PhD student - Department of Arabic Language - Faculty of Arts and Human Sciences – Latakia University - Latakia.

مقدّمة:

للحبّ حيّز خاصّ في الشّعر العربيّ الحديث، وهذا ما تجلّى لدى الشّعراء السّوريّين، ومنهم: عمر أبو ريشة الذي كان شاعر الوجدان النّابض بالإنسانيّة؛ لذا اخترنا شعره ليكون ميداناً لبحثنا، فكان العنوان: (الحقول الدّلاليّة في شعر عمر أبو ريشة – حقل الحبّ أنموذجاً)، ولدى الخوض في قصائد الحبّ نجدها متنوّعة لديه، فهي تتجلّى في ثنائيّات عدّة، منها: (الحبّ والخيبة)، (الحبّ والجمال)، وغير ذلك من ثنائيّات شكّل الحبّ المحور الجامع لها، ففي حقل الحبّ – المرأة، نرى مفردات الحبّ مكتظّة، نحو: (الحبيب، الخدّ، الجمال، النّظرة)، وغير ذلك ممّا شكّل عمقاً وجدانيّاً راقياً تماهى فيه الحبّ بكلّ سبل الوجدان والانتماء والإعجاب، ولذا نرى تركيزاً على الصّفات الجماليّة في المحبوب، وما يتركه وجوده وغيابه من أثر في أعماق الحبيب الذي يحوّل تجربة الحبّ إلى عالم من المتعة والجاذبيّة، **وتنطلق إشكاليّة البحث** من كون الحب غرضاً شعريّاً مميّزاً في دواوين الشّعراء، وقد ارتبط بعناصر عدّة في شعر عمر أبو ريشة، لم يلتفت إليها الباحثون السّابقون، فقد درسوا الحبّ بوصفه موضوعاً شعريّاً قائماً بذاته، في حين سيدرس بحثنا ارتباطه بموضوعات أخرى تتعلّق به.

أسئلة البحث:

ينطلق البحث من الأسئلة الآتية:

– ما الألفاظ والمفردات الأكثر تكراراً التي تشكّل حقل الحبّ في ديوان عمر أبو ريشة؟.

– ما العلاقات الدّلاليّة (ترادف، تضاد، اشتمال) التي تربط بين مفردات الحبّ في شعره؟.

– إلى أيّ مدى تعكس هذه الحقول الدّلاليّة تجربة الشّاعر الذّاتيّة وتطوّره الفنّيّ؟.

– ما الأثر الجمالي والأسلوبيّ الذي أحدثه اختيار هذه الألفاظ دون غيرها في بناء الصّورة الشّعريّة؟.

فرضيات البحث:

تقوم الدّراسة عادة على عدّة افتراضات، وهي:

– الفرضية الأولى: أنّ معجم الحبّ عند عمر أبو ريشة يتميّز بخصوصيّة لغويّة تمزج بين الرقّة الرّومانسيّة والجزالة اللغويّة، ممّا يجعله حقلاً ثريّاً للدّراسة.

– الفرضيّة الثانية: وجود صلة وثيقة بين الحالة الشّعوريّة للشّاعر وبين اختيار الحقول الدّلاليّة، إذ تختلف مفردات الحبّ في مراحل شبابه عنها في مراحل نضجه.

– الفرضية الثالثة: أنّ حقل الحبّ لا يقتصر على العاطفة المجرّدة، بل يتداخل مع حقول أخرى مثل الطّبيعة والوطن واليأس.

الصّعوبات التي واجهت الدّراسة:

واجه الباحث صعوبات منها:

– اتّساع النّتاج الشّعريّ للشّاعر عمر أبو ريشة، فهو شاعر مكثر.

– تداخل الحقول الدّلاليّة، ممّا أدّى إلى صعوبة الفصل بين المفردات؛ فكلمة واحدة قد تنتمي لحقل الحبّ"وحقل الموت أو الألم في آنٍ واحد، ممّا يجعل التّصنيف الإحصائيّ معقّداً.

– ندرة المراجع المتخصّصة: رغم شهرة الشّاعر، إلا أنّ الدّراسات التي تتناول الحقول الدّلاليّة بشكل لغويّ محض على شعره قد تكون أقلّ وفرة من الدّراسات النّقديّة العامّة.

أهمّيّة البحث:

تنبثق أهمّيّة البحث من قدرته على فتح آفاق تفاعليّة تثير الوجدان الإنسانيّ عبر نافذة الوعي الوجوديّ لعاطفة لا تكتمل الإنسانيّة من دونها، فالحبّ في شعر عمر كان حبّاً إنسانيّاً امتدّ إلى عوالم الإنسان والوطن والدّاخل، والإنسانيّة كلّها.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى تفكيك الحقل الدّلاليّ للحبّ في شعر عمر أبي ريشة، تفكيكاً لسانيّاً من خلال حصر وحداته المعجميّة، وتحليلها وفق مبادئ علم الدّلالة بتحديد العلاقات الدّلاليّة ونسق ظهورها، للكشف عن البنية اللغويّة للحقل، وطبيعة تنظيمه الدّلاليّ داخل المعجم الشّعريّ لديوان عمر أبو ريشة.

منهج البحث:

يستند البحث إلى النّظريّة الأسلوبيّة التي جعلتنا نقف عند الحقول الدّلاليّة في ظاهرة الحبّ، ونصفها، وندرسها في زمانها ومكانها.

منهجيّة البحث:

اعتمد البحث في منهجيّته على أمرين، الأوّل: تعريف بالحقل الدّلاليّ، والثاني: دراسة حقل الحبّ في شعر عمر أبو ريشة، عن طريق دراسة الحبّ المرأة، الذي تفرّع بدوره إلى: الحبّ والخيبة، الحبّ والجمال، وانتهت الدّراسة بخاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

تمهيد:

الحقل لغة:

جاء في معنى الجذر (حقل) ما يأتي: الحقل: الموضع البكر الذي لم تتمّ زراعته قبل ذلك[1]. فالحقل هو المساحة المحدّدة التي تمتدّ على طولٍ ما، وعرضٍ ما، ولها تضاريسها وحدودها.

الحقل اصطلاحاً:

هو "العمود الذي تندرج ضمنه وحدات لغويّة تجمعها خصائص مشتركة، كالألوان والأمراض، والصّفات وغيرها، فهو يجمع كلمات مرتبطة دلاليّاً تُصنّفُها –ضمنَ لفظٍ عامّ في زمن محدّد– لغةٌ معيّنةٌ محدّدةٌ"[2].

فالحقل مجال دلاليّ لجزئيّات ترتبط فيما بينها بصلة ما، وهذه الجزئيّات قد تكون كلماتٍ أو محسوسات، أو مجرّدات، أو أفعال، أو غير ذلك، فالحقل في لغة الاصطلاح حقل ممتدّ متّسع، وله في كلّ مجال مساحة خاصّة؛ لأنّ الانطلاق من الرّؤية العامّة للأجزاء يسهّل فهم علاقة الأجزاء بعضها مع بعض؛ ولذا كان الحقل عند اللغويّين عالم من العطاء؛ لأنّه يهب الدّارس والمتلقّي كثيراً من المستويات المعرفيّة المتعلّقة بالدّلالات المتنوّعة.

الدّلالة لغة:

وردت في لسان العرب تحت الجذر اللغويّ (دلل)، وفيها: "الدّليل ما يستدلّ به، والدّليل: الدّالّ، وقد دلّه على الطّريق يدلّه دلالة بفتح الدّال أو كسرها أو ضمّها، والفتح أعلى...

[1] ينظر: ابن منظور: لسان العرب، تح: أمين محمّد عبد الوهّاب، ومحمّد الصّادق العبيديّ، دار إحياء التّراث العربيّ، مؤسّسة التّاريخ الإسلاميّ، بيروت – لبنان، ط3، 1419 هـ – 1999 م، مادّة (حقل).

[2] عبد الجليل، عبد القادر: علم اللسانيّات الحديثة، دار صفاء، عمّان – الأردن، ط1، 2002م، ص370.

والدّليل والدّليلي الذي يدلّك.. والدّليلي علمه بالدّلالة ورسوخه فيها، ... أدلّة: جمع دليل"[1]، فالمعنى لدى ابن منظور انحصر في نطاق العلم والإرشاد.

الحقل الدّلاليّ:

شكّلت الحقول الدّلاليّة محاور مهمّة في ميدان التّأسيس لمعالجات كثيرة تستدعيها تلك الحقول، ويمكن الوقوف على مفهومه وفق الآتي:

الحقل الدّلاليّ "هو المكان الذي تدور ضمنه عدّة كلمات، مثل: مجال الزّراعة، والصّناعة والصّحّة"[2]، وهو "مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عامّ يجمعها"[3]، وهذه الكلمات لها حضورها القويّ في فتح المجال للاتّساع الدّلاليّ، وتعميق فاعليّات الدّلالات المختلفة، ويرى ليونز أنّ الحقل اللغويّ "مجموعة جزئيّة لمفردات اللغة"[4]، إنّها مجموعة تربطها حدود منظّمة. والحقول الدّلاليّة تستدعي العلاقة بين الدّالّ والمدلول، وهي علاقة موجودة منذ الأزل، فهناك دائماً ارتباط بين هيكليّة القول وصياغته، وبين ما يؤدّيه من دلالة.

عمر أبو ريشة حياته:

تكاد تتّفق معظم المصادر والمرويّات التي تُرجمت لعمر أبي ريشة في الخطوط الرّئيسة التي شكّلت حياته، غير أنّ اختلافاً يسيراً وقع بينهم في تاريخ مولده، فبعض المصادر ذكرت أنّ مولده كان في عام 1908، في عكّا، في حين ذكرت مصادر أخرى أنّ مولده كان في عام 1910م في عكّا.

ولد أبو ريشة لأب ينتمي إلى عشيرة تعود أصولها إلى طيء، ذات القوّة والبأس والشّاعريّة، وأمّ عُرِفت بالتّديّن والتُّقى والذّكاء المتّقد، فانعكس ذلك في شخصيّة شاعرنا، تلقّى تعليمه الأوّل في مدارس حلب، ثمّ أتمّ تحصيله العلميّ في الجامعة الأمريكيّة في بيروت عام

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادّة (دلل).

[2] مبارك، مبارك: معجم المصطلحات الألسنيّة فرنسي – إنكليزي – عربي، دار الفكر اللبنانيّ، بيروت – لبنان، ط1، 1995م، ص259.

[3] عمر، أحمد مختار: علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ط4، 1993م، ص79.

[4] المرجع السّابق، ص79.

1924م، انتقل بعدها إلى إنكلترا لدراسة صناعة الأصباغ والنّسيج، لكنّه تحوّل عن هذا الاتّجاه إلى عالم الشّعر، وخطَّ لنفسه طريقاً في هذا المضمار، حتّى غدا قمّة في الشّعر العربيّ الحديث، وأتاحت له رحلته إلى إنكلترا فرصة الاطّلاع على الأدب الإنكليزيّ، قرأ لشكسبير، وقرأ لبودلير، وأعجب بهما جدّاً، عاد بعدها إلى حلب واستقرّ فيها زمناً، عُيِّن خلالها مديراً لدار الكتب الوطنيّة بحلب، هاجم الاستثمار وأذنابه، وشارك في المناسبات الوطنيّة بحسّه وشعره، فطارت شهرته في الآفاق وتجاوزت حدود سوريا، وخلال مسيرته الحافلة تلك تعرّض للاعتقال مراراً، تلت هذه المرحلة مرحلة جديدة بدأت عام 1950م، تقلَّب فيها عمر بين البرازيل والأرجنتين وشيلي والهند والولايات المتّحدة الأمريكيّة، سفيراً لبلده، وكان عهده ذهبياً ارتفع فيه اسم العرب والعروبة، كان مخلصاً حريصاً على خدمة مواطنيه.

بعد هذه المرحلة، أُحيل للتّقاعد عام 1970م، فاستقرّ في بيروت مستوطناً، عاشقاً إيّاها، توثقت خلال هذه الفترة علاقته بالأسرة السّعوديّة الحاكمة في ذلك الوقت، وفي عام 1990م تردَّت حالته الصّحيّة وأُدخل مستشفى الملك فيصل في الرّياض، ومكث عدّة أشهر حتّى وافته المنيّة في 14-7-1990م، حُمِل جثمانه بعدها إلى حلب ودُفِن بها.

كُرِّم مراراً، ومُنِح خلال مسيرته ألقاباً علميّة، ومناصب فخريّة، والعديد من الأوسمة من دول مختلفة عربيّة وأجنبية. وقد ترك أبو ريشة تراثاً ضخماً من الأشعار الوطنيّة والعاطفيّة والإنسانيّة، وفي شتّى الأغراض[1].

حقل الحبّ في شعر عمر أبو ريشة:

تشكّل العلاقات الاجتماعيّة والإنسانيّة دعائم رئيسة في حياة المرء؛ لأنّها إطار يتبلور فيه الوعي الإنساني بالذات والآخرين، وهي أيضاً وسيط تتحقّق بوساطته القيم والمعايير والهوية، فالمرء اجتماعيّ بطبعه، ولا يمكنه أن يحيا بمعزل عن الآخرين؛ لأنّ وجوده يتحقّق من خلال تفاعلاته معهم، ولا تقف العلاقات الإنسانيّة عند حدود المادّيّات أو الأدوار الاجتماعيّة، بل تمتدّ لتشمل الميدان العاطفيّ الوجدانيّ الذي تترسّخ فيه المشاعر، وتتوطّد العلاقات، ممّا يمنح المرء توازناً نفسيّاً، وإحساساً بالطّمأنينة. وأهمّ ما تمثلت به هذه العلاقات هو علاقة الحبّ.

[1] يُنظر: الدّهان، محمّد سامي: الشّعراء الأعلام في سورية، دار الأنوار، بيروت-لبنان، ط2، ص307-315.

فقد اهتمّ عمر أبو ريشة بالمرأة اهتماماً بالغاً، و "خصّص لها أكثر من نصف ديوانه بقليل، وجمع كلّ قصائده فيها تحت عنوان (هي)" [1]، فهو يرى "أنّه لا سعادة في الدّنيا بدون حبّ، فهو الذي يمنح الدّنيا الجمال، ويدفع إلى التّعلّق بها، فإذا خمدت جذوة الحبّ خمدت في النّفس الشّهوة"[2]، ومن المعلوم أنّ للحبّ مظاهر عديدة، أهمّها: حبّ المرأة، وحبّ الوطن، وفي هذا البحث سنقف عند حبّ المرأة الذي يتوزّع إلى الحبّ والخيبة، والحبّ والجمال.

حقل الحبّ والمرأة:

يشكّل الحبّ والمرأة وقوداً شعوريّاً يحرّض مخيّلة الشّاعر، ويُحيي إلهامه، ويُطلق إبداعه في صوره ومعانيه؛ لأنّ الحبّ أسمى عاطفة إنسانيّة، وهو يمثل جوهر التّجربة الإنسانيّة التي تحرّك العواطف، وتكشف خبايا النّفس، والمرأة في الشّعر رمز للجمال والخصب والعطاء والحياة والحلم والوطن أيضاً، فهي السّحر الذي يُثير دهشة الشّاعر، ويلهمه، محوّلاً كلماته إلى أنغام وجدانيّة.

أ- حقل الحبّ والخيبة:

الحبّ تجربة إنسانيّة تمنح الحياة معاني القدرة والعطاء والجمال معاً، إنّه قوّة روحيّة تنعش الإنسان، وتوقظ في أعماقه الكثير من المشاعر، والعواطف السّامية، ومع ذلك قد يقترن هذا الحبّ بالخيبة عندما يصطدم بالواقع، وتبدو الخيبة لحظة صراع بين المثال والواقع، وبين الحلم والخذلان، فـ "الرّجل مضطهد يعاني من برودة المرأة واستهتارها به، وإهمالها إيّاه، وإنكارها عهوده"[3].

للحبّ دائماً محطّات في حياة الشّعراء، ومنها ما نراه في قول الشّاعر عمر أبو ريشة[4]: [من الخفيف]

---

[1] دندي، محمّد إسماعيل: عمر أبو ريشة دراسة في شعره ومسرحيّاته، دار المعرفة، دمشق – سورية، ط1، 1408هـ- 1988م، ص80.

[2] النّعماني، عبد العزيز: عمر أبو ريشة شاعر الحبّ والوطن، الدّار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة – مصر، ط1، 1418هـ- 1997م، ص60-61.

[3] دندي، محمّد إسماعيل: عمر أبو ريشة دراسة في شعره ومسرحيّاته، ص83.

[4] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة- القصائد، تحقيق: فايز الدّاية، وسعد كليب، ومحمّد قجّة، الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب، وزارة الثّقافة، دمشق – سورية، ط1، 2017م، ص177-179.

وافترقنـــا... ولـــم يمـــرَّ بجفنِـــي منـــكِ طيـــفٌ.. عبـــرَ الليـــالي الطّويلَـــــــــــــــــــــــهْ

وتلـــوَّى الـــدّانوبُ بـــينَ يـــديها مُتْعَبـــاً .. ســـاحباً خُطـــاه الثّقيلَـــهْ!

إنّهـــا أنـــتِ.. أنـــتِ جُـــزتِ إلـــيَّ والليـــــلَ والرّيـــــاحَ البليلَـــــهْ! السّـــــــــــــــــــــــحبَ

وأوينـــــا إلـــــى مخـــــابئ كهـــــفٍ ردَّ أيـــــدي زمانِـــــهِ مغلولَـــــهْ!

فـــــي زوايـــــاه للعناكِـــــبِ مَسْـــــرَى لـــــم تشـــــأ صـــــحبةُ الأســـــى أن تُزيْلَـــــــــــــــــــــــهْ!

لســـــتُ أنســـــى يـــــومَ الرّحيـــــلِ .. مـــــن حيـــــاتي.. شـــــيَّعتُ فيـــــه وشـــــــــــــــــــــــيئاً رحيلَـــــــــــــــــــــــهْ!

وحثثـــتُ الخُطَـــا .. ووحشـــةُ أيَّـــامِي الخَـــوالِي.. علـــى خُطـــايَ قتيلَـــهْ!

وتوقّفـــتُ عنـــدَ بيتـــكِ.. مـــا أوجعَهـــا وقفـــــــةً هنـــــــاك.. ذليلَـــــهْ!

عشـــتُ فيهـــا هنيهـــةً .. خاشـــعَ الطّـــــــــــــــــــــــرفِ ذبـــيحَ الرَّجـــا، جـــريحَ الرّجولَـــهْ!

بدا الحقل الوجداني المتمثل بحقل الحبّ مكوّناً من الألفاظ الآتية:

الألفاظ الدّالّة على الحبّ
طيف، يديها، حياتي، أيّامي، الخوالي، بيتك، الرّجا، الرّجولة

لكنّ الشّاعر استحضر معه حقل الخيبة الذي يرافق تجربة الحبّ الفاشلة، وقد تكوّن هذا الحقل من الألفاظ الآتية:

الألفاظ الدّالّة على الخيبة
افترقنا، الطّويلة، الليالي، تلوّى، متعباً، ساحباً، الثقيلة، الليل، الرّياح، مخابئ، كهف، مغلولة، للعناكب، الأسى، الرّحيل، شيّعت، رحيله، وحشة، قتيله، أوجعها، ذليله، وقفة، ذبيح، جريح، خاشع

وهذان الحقلان ترافقا مع عدد من العلاقات الدّلاليّة، فـ "الحقل الدّلاليّ مكوّن من مجموعة من العلاقات، حيث يأخذ فيها كلّ مصطلح علّته"[1]، وهذه العلاقات هي:

- التّرادف: (مخابئ، كهف)، (الرّحيل، شيّعت)، (وحشة، الخوالي)، (ذبيح، جريح).
- التّنافر: (السّحب، الرّياح).

فقد حاول الشّاعر الاستعانة بالمترادفات ليبرز التّقارب المعنويّ عبر كلمات وتعابير عديدة تكثّف المعنى الذي يريد إبرازه، فقوله: (خالي، وحشة) تعميق لأثر الفراغ العاطفيّ والوحدة بعد الفَقْد، ونجد استناده أيضاً إلى علاقات التّضاد، وذلك لإبراز التّناقض والصّراع الدّاخلي، فالرّجولة قوّة، والجرح ضعف، وكذلك (افترقنا، طيفك)، فالفراق بُعد، والطّيف حضور، وليس هذا فحسب بل نجد (حياتي، شيّعت) تبرزان صراع الحياة والموت، بينما (مخابئ، كهف) كانا مترادفين يبرز كلّ طرف منهما التّواري والقِدَم، ويستحضر الشّاعر ما يحرّك جمود الكهوف والمخابئ عبر صورة الرّياح، فيقول: (السّحب، الرّياح) معطياً بهذه الثنائيّة مشهده حركة وديناميّة.

وهذه العلاقات تبرز الكثير من لواعج القهر والمرارة التي عاشها الشّاعر في دروب العشق الخائب الذي انتهى به إلى الصّدمة بغدر المحبوبة التي كانت قد تملّكت ذاته وأعماقه، وشاءت الأقدار أن يعلم أنّها بيّاعة هوى.

وفي قوله في قصيدة (حماة الضّيم)، كان يردّ على من تعاتِب قائلاً[2]: [من الرّجز]

تلك البقيّةُ من سُلافَةِ حُلمه نَضبتْ ولم تنقِع غليلَ أواره
أوما لمحتِ على كآبةِ صمتهِ ما شَقَّت الأقدارُ من أستارِهِ
كانت له خيلاؤهُ، أيّام لم تَهتِكْ بناتُ الدّهرِ حُرمةَ دارِهِ

نجد الحقل المعجميّ للحبّ مكوّناً من عدد من الكلمات التي "تشكّل وسيلة الاتّصال بين بني الإنسان... وأنّ لكلّ كلمة من كلمات هذا الاتّصال معنى"[1]، وهذه الكلمات صنّفت في حقول دلاليّة مختلفة، هي:

[1] جيرو، بيير: علم الدّلالة، ترجمة: د. منذر عيّاشي، تقديم: د. مازن الوعر، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، دمشق – سورية، ط1، 1988م، ص156.

[2] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة، ص30.

الألفاظ الدّالّة على الحبّ
سلافه، حلمه، خيلاؤه

وترافق هذا الحقل مع حقل الخيبة المكوّن من الألفاظ الآتية:

الألفاظ الدّالّة على الخيبة
البقيّة، نضبت، غليل، أواره، كآبة، صمته، شقّت، الأقدار، تهتك، الدّهر

وهذا الحقل المليء بألفاظ الخيبة جعل الشّاعر يبدو إنساناً كئيباً متحسّراً ممّا ألمّ به من خيبة عندما عاتبته الأنثى، وهو الشّاعر الجريح المُعذّب، فاستحضر لتجلية هذه التّجربة المليئة بالخيبة علاقات لغويّة تجلّت بالتّرادف في قوله: (غليل، أواره)، والتّضاد في قوله: (تهتِك، حرمة).

ويبدو أنّ الشّاعر في تجربة الخيبة وصل إلى مرحلة الإحساس بالمفارقة بين ما كان وما آلت إليه حاله؛ لذا قال: (كانت له خيلاؤه)، معلناً قساوة الواقع في قوله: (تهتّك بنات الدّهر حرمة داره)، فالخيّلاء في زمن نقيض لزمان الهتك الذي أدمى أعماقه.

وفي قوله[2]: [من الخفيف]

وأَرَى تَوْبَةَ الزَّمَانِ بِعَيْنَيكِ فَأَنْسَى مَا قَدْ أَسَاءَ إِلَيَّا!!
أَوُجُومٌ فيمَ الوجومُ مُنَى النَّفْسِ وفيمَ الذّهولُ يكسو المُحيَّا
ويحَ نفسي، ما للعواصِفِ تخبو ويَفُتُّ الخِذلانُ في ساعِدَيَّا؟؟
أنا طفلُ الحياة يا ضِلَّةَ الرّوحِ فعفواً إنْ جئتُ أمراً فرِيَّا؟
قبّليني! فقد شعرتُ بروحي وثَبَتْ وارتمتْ على شفتيَّا!!!

أحسّ الشّاعر بألمه الدّاخليّ وخيبة تجاربه الحياتيّة، ولاسيّما أنّه مُتعطّش للحبّ، فاستحضر حقلي الحبّ والخيبة الذي تكوّن كلّ منهما من الآتي:

الألفاظ الدّالّة على الحبّ

[1] الشّيخ، عبد الواحد حسن: العلاقات الدّلاليّة والتّراث البلاغيّ العربيّ – دراسات تطبيقيّة، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنّيّة، القاهرة – مصر، ط1، 1419 هـ- 1999م، ص39.

[2] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة، ص232.

منى، النّفس، المُحيّا، عينيك، الحياة، طفل، الرّوح، قبّليني، شعرت، شفتي
الألفاظ الدّالّة على الخيبة
وجوم، الذّهول، أساء، ويح، العواصف، الخذلان، ضلّة، فريّا

وقد بنى الشّاعر الحقلين وفقاً للعلاقات الآتية:

- التّرادف: (الوجوم، الذّهول)، (ضلّة، فريّا)، (وثبت، ارتمت).
- التّضاد: (توبة، أساء).

فـ "النّصّ علاوة على اعتماده على العناصر اللفظيّة الشّكليّة في اتّساق أركانها، وتنسيق لاحقها بسابقها، وسبك مفرداتها وتراكيبها، فإنّ في مضمونها مجموعة من العلاقات المنسجميّة التي تعتمد عليها الوسائل الاتّساقيّة المعنويّة في النّصّ، فهذه الوسائل ذات طابع دلاليّ يساهم في تحقيق انسجام الخطاب"[1]، وهذه العلاقات تُفصح عن مقدار الألم الذي أحسّ به الشّاعر في حضرة الحبّ الذي زاد من عمق إحساسه بالمفارقة بين من تغنّى للحبّ، وبين ما سبّبه له الحبّ من ألم، ففي قول الشّاعر: (أنسى ما قد أساء إليّ)، نوع آخر من الخيبة يرافقه تأنيب الذات على الاسترسال في عالم الحبّ المُخفق.

وقد أبرزت الأبيات السّابقة تجربة وجدانيّة، فالشّاعر مفعم بالعاطفة المتأجّجة التي استدعت البدء بقوله: (ويح نفسي)، والاستعانة بالمترادفات (الوجوم، الذهول)، (ضلّة، فريا)، (وثبت، ارتمت) وهي ترادفات حاول الشّاعر من خلالها تعزيز مشهد الصّدمة وحركيّة الأحداث، عبر تكرار المترادفات الدّالّة عليها، أو التي تبرز تعطّشه لإشباع انفعاله الدّاخليّ عبر طلبه أن يحصل على التّقبيل الرّامز إلى الإنقاذ والاستقرار.

وبرز التّضاد بين (توبة، أساء) ليبرز المصير المتباين بين التّوبة والمعصية، ممّا يرتبط بالذات الدّاخليّة من جهة، والأثر النّاجم من سلوكاتها من جهة أخرى، لكنّه حين قال: (العواصف تخبو) أشار إلى الألم والاضطراب، وأعطى شعوراً بانحسار الأذى، فكان هذا التّضاد بين عنف العواصف وهدوء (تخبو). وفي قوله: (وثبت، ارتمت) فضاء داخليّ، فالثبات صمود،

[1] البالكي، نهاد نادر حمد؛ حامد، هشام فالح: العلاقات الدّلاليّة المنطقيّة وأثرها في انسجام النّصّ دراسة في قصائد عربيّة لعدد من شعراء الكورد، مجلّة (لغة – كلام)، جامعة غليزان – الجزائر، مج 7، ع4، سبتمبر 2021م، ص146–147.

والارتماء حركة، وكأنّ الشّاعر يحاول إرساء دعائم عالم وجوديّ يحقّق له استقرار الذات، فقد جاء تصوير القبلة فعلاً وجوديّاً، ووسيلة للارتقاء الرّوحي والاتّحاد، وكأنّنا أمام ألقٍ صوفيّ، وقد تراءى التّناصّ في قوله: (إنْ جئت أمراً فريّا) وهو تناصّ مع الآية القرآنية: ﴿**فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً**﴾[1]، وهذا التّناصّ انطلق من عتبة الاتهام بشيء لم تكن السيّدة مريم العذراء لتقوم به، إلا أنّه نابع من المفاجأة وعدم توقّع المحيطين بها أن تلد طفلاً من دون زواج، وقد وظّفه الشّاعر هنا في سياق الاعتذار عن فعل ربّما كان خارج توقّع المحيطين به، فكان التّداخل النّصّي محمّلاً بمضمون جديد، وظّفه الشّاعر ليرسّخ فكرته في المتلقّي.

وفي قوله[2]: [من الخفيف]

قِفـــي، لا تخجلـــي مِنّـــي فمـــا أشـــقاكِ أشـــقاني
كلانـــا مـــرَّ بـــالنُّعمَى مـــرورَ المُتعَـــبِ الـــوانِي
وغادرَهـــا كـــومضِ الشّـــوقِ فـــي أحـــداقِ ســـكرانِ
قِفِـــي لـــن تســـمعِي مِنّـــي عتـــابَ المُـــدْنَفِ العـــانِي
فبعـــدَ اليـــومِ لـــن أســـألَ عـــن كأســـي ونُـــدماني
خـــذي مـــا سَـــطَّرَتْ كَفَّـــاكِ مـــن وَجْـــدٍ وأشـــجانِ
صـــحائفُ طالمَـــا هـــزّتْ بِـــوَحْي منـــكِ ألحـــاني
خلعـــتُ بهـــا علـــى قـــدميكَ حُلْـــمَ العـــالمَ الفـــاني!
لنطـــوِ الأمـــس، ولنســـدِلْ عليـــه ذيـــلَ نســـيانِ
فـــإن أبصـــرتني، ابتســـمي وحييـنـــي بتحنـــانِ
وسِـــيري سَـــيرَ حالِمَـــةٍ وقـــولي ... كـــان يهـــواني!

نجد الحقل المعجميّ للحبّ مكوّناً من الألفاظ الآتية:

الألفاظ الدّالّة على الحبّ

[1] سورة مريم، الآية 27.

[2] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة، ص209.

النّعمى، الشّوق، أحداق، وجد، حلم، يهواني، سكران

وقد ترافق حقل الحبّ مع حقل الخيبة الذي كوّنته الألفاظ الآتية:

الألفاظ الدّالّة على الخيبة
أشقاك، أشقاني، المُتعب، الواني، غادرها، المدنف، عتاب، العاني، أشجاني، خلعت، الفاني، كان

فقد ارتأى الشّاعر هذين الحقلين محاولاً تعميق حضور تجربة الحبيبة وأثرها في حياته؛ لذا أقامَ هذه التّجربة على العلاقات الدّلاليّة الآتية:

- التّرادف: (المتعب، الواني) فالمفردتان تعنيان الضّعف، و (المدنف، العاني)، تعنيان التّعب.
- التّضاد: (مَرّ، غادرها).

إذ إنّ "دراسة العلاقات الدّلاليّة داخل المجال الدّلاليّ الواحد من الأمور المهمّة المتعلّقة بعلم الدّلالة؛ إذ تختلف هذه العلاقات عن استعمال إلى آخر بحسب أنواع الألفاظ ومعانيها التي يقصدها المتكلّم، وبحسب حال المتلقّي وفهمه"[1]، فيتحرّك المعنى العامّ للحبّ ضمن سياق الحبّ، وهذا السّياق ينبض بملامح المعاناة العاطفيّة، فقوله: (ما أشقاك أشقاني)، (المدنف، العاني)، (وجد)، (أشجان)، إبراز لعلاقات تظهر المعاناة المتبادلة بين الشّاعر ومن يحبّ، ونجد قوله: (مرّ بالنّعمى وغادرها)، صورة واضحة لتغيّر الأحوال من اللذة إلى الحرمان، ومن الحضور إلى الغياب؛ لذا لم يكن غريباً أن يلجأ إلى (كأس، ندمان) مبرزاً لرموز تشير إلى لحظات المتعة الممزوجة بالفَقْد، ثمّ نجد القرار (لن تسمعي منّي عتاباً)، فالشّاعر يتجاوز لحظة الخذلان إلى مراحل الصّفح والسّكون، مبرزاً أنّ الحبّ إهداء وتضحية، فالذات تفنى لتمنح العطاء والشّعور الإيجابيّ للآخر؛ إذ يتحوّل الحبّ في خضم الواقع إلى حلم وطيف وذكرى، الأمر الذي يستحضر قوله: (وجد، أشجان)، وهذه الثنائيّة تعبّر عن الشّوق والألم والحزن، ويقابلها (كأس، ندماني) عبر ترادف مجازي أساسه علاقة التّفاعل المتينة لتصوير الحبّ واللذة،

[1] الزّيدي، ابتهال كاصد ياسر: العلاقات الدّلاليّة بين ألفاظ الإبدال الصّوتي في القرآن الكريم، مجلّة كلّيّة التّربيّة للبنات، العراق، مج 19، ع2، 2008م، ص2.

وهنا تحضر مفردة (ابتسمي) مع (حييني بتحنان) ليمثلا فعل استقبال رقيق ينتظر المعاملة بالمثل، وهنا يقول: (بوحي، ألحاني) ليجعل من ترادفه وسيلة تعبير كثّفت الأثر الوجداني؟.

ويأتي (المدنف) المريض بالحبّ في سياق الحالم المتفرّد بعالمه وخياله، وكأنّ الشّاعر يزاوج بين المرض الذي أصابه بسبب الحبّ، والحلم الفاني في خضم ثنائيّة (الأمس، نيسان) ليجعل الماضي مقابل الحياة الجديدة من بعدها.

لقد حاول الشّاعر أن يبرز وفقاً لأدواته التّعبيريّة ذاك المصير الخائب الذي انتهت به تجربة الحبّ؛ لذا قال: (قولي كان يهواني)، ليضع الفعل النّاقص موضع المحور الذي جلّى المفارقة بين هوى الأمس وكره الحاضر وحقده مع أنّ قلبه خالٍ تماماً من الحقد والضّغينة على المحبوبة السّابقة التي زرعت في نفسه خيبةً يصعب نسيانها، وهذا ما عمّق المستوى الشّعوريّ، وأعطى القصيدة ذاك البُعد الدّلاليّ المُشبع بإحساسها.

وفي قول الشّاعر[1]: [من الكامل]

كم جئتُ أحملُ من جراحاتِ الهوى ... نجوى، يردُّدها الضّميرُ ترنُّما

سألَتْ معَ الأملِ الشّهيّ لترتمي ... في مَسْمَعيك، فما غمزتِ لها فَما

فخنقتُها في خاطري! فتساقَطَتْ ... في أدمعي، فشربتُها مُتَلَعثما

ورجعتُ أدراجي أصيدُ مِن المُنَى ... حلماً، أنام بأفْقه مُتوهِّما

إنْ تهتكي سِرَّ السّراب وجدتِه ... حلمَ الرّمالِ الهاجعاتِ على الظَّما

نجد حقل الحبّ يتكوّن من الآتي:

الألفاظ الدّالّة على الحبّ

[1] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة، ص212.

الهوى، نجوى، الأمل، الشّهي، المنى، حلماً، غمزت

ونجد حقل الخيبة المكوّن من الآتي:

الألفاظ الدّالّة على الخيبة
جراحات، خنقتها، تساقطت، أدمعي، متلعثما، رجعت أدراجي، متوهّما، تهتكي، السّراب، حلم، الهاجعات، الظّما

وقد بنى الشّاعر الحقلين السّابقين وفقاً لعلاقات التّنافر التي برزت في قوله: (مسمعيك، فما)، والتّرادف في قوله: (حلماً، المُنى)، والتّضاد في قوله: (تهتكي، سرّ)؛ إذ "تتكفّل العلاقات الدّلاليّة بمهمّة الرّبط المفهوميّ، لتكون أنجع الوسائل الانسجاميّة الممهّدة لكشف معيار الحبك إلى التّماسك النّصّيّ"[1].

وهذه العلاقات الثريّة بمضمونها تشير إلى صعوبة الخيبة وما جرّته على الشّاعر الذي حاول إبراز كيفيّة تعامله مع ظروف القهر المُتمثّلة بتجربة خيبته في سياق الحبّ، ومحاولاته العديدة أن يُحييه تباعاً، لكنّه فشل في إحيائه.

وفي قوله[2]: [من الرّجز]

أضعتُها.. وكانت الدّنيا ... التي أضعتُها
عرفتُ بعضَ صحبِها! ... من بعدِ ما عرفتُها!
كم غمزوا من لهوها ... الطّاغي وكم زَجَرتُها
كم أقسَمَت لي أنّها ... تابتْ.. وكم صدّقتها!
أينَ اختفَتْ؟ كلُّ ... مغانيها اليتامى زرتُها!
لم أُبقِ داراً خلتُها ... فيها.. وما طرقتُها
أين تُراها؟ طالَ تهيامي ... وما وجدتُها!
ويَحي.. أظُنُّ أنّني ... في سَكْرَةٍ، قتلتُها!!

[1] عبّاس، زهرة خضير: العلاقات الدّلاليّة في شعر ابن دريد الأزديّ (ت321هـ) دراسة تحليليّة في ضوء لسانيّات النّصّ، مجلّة الاستاذ، كلّيّة التّربيّة، جامعة بغداد، ع227، كانون الأوّل، 1440هـ- 2018م، ص140.

[2] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة، ص218.

يتراءى حقل الخيبة مُسيطراً على النّصّ السّابق، وقد تكوّن من الألفاظ الآتية:

الألفاظ الدّالّة على الخيبة
أضعتها، لهوها، الطّاغي، زجرتها، اختفت، اليتامى، ما وجدتها، ويحي، أظنّ، قتلتها

إنّ "دلالة أيّ نصّ شعريّ ليست في معنى افتراضي مسبق له، وإنّما هي محصّلة مجمّعة لكلّ وسائله الإشاريّة والمجازيّة، وتكنيكه في التّعبير والرّمز"[1]، وقد صنّف الشّاعر ألفاظه في المقطع السّابق في حقل دلاليّ مليء بالعلاقات التي شاركت في إبراز شدّة خيبة الشّاعر، وتأثّره بمصير الحبّ الفاشل الذي جمعه بمحبوبته التي أضاعها القدر منه، وقهره بمزيد من الشّكوك، ومن تلك العلاقات: التّضاد في قوله: (غمزوا، زجرتها)، وهذه العلاقة نجدها مشوبة بالصّراع الدّاخليّ النّاتج من المفارقة، فالجميع حاول الغمز أمام سُبل الحياة المليئة بمخادع الهيام، لكنّ الشّاعر لم يغمز مُستجرّاً إيّاها، بل زجر سبل هذه الحياة، ثمّ نجد كذب محبوبته: (أقسمت لي أنّها تابت)، ويصف تصديقه لها (كم صدّقتها) بالكثرة، فكانت (كم) الخبريّة التّكثيريّة خير وسيلة للإفصاح عن عمق خيبته ومعاناته، بسبب تصديقه لها مرّات كثيرة نابعة من محبّته الغامرة، وحسن ظنّه بها.

ب-حقل الحبّ والجمال:

الحبّ والجمال حقلان دلاليّان، بل هما من أوسع الحقول الدّلاليّة التي اكتنفها الأدب العربيّ بشعره ونثره، بل والفكر الإنساني عبر العصور كلّها؛ لأنّهما مرتبطان بالوجدان الإنساني وتجاربه الشّعوريّة، فالذّهن "يميل دائماً إلى جمع الكلمات، وإلى اكتشاف عرى جديدة تجمع بينها، فالكلمات تثبت في الذّهن دائماً بعائلة لغويّة"[2]؛ فكان الحبّ والجمال أداتا بهجة واستحسان وخيال.

إنّ الحبّ عاطفة نراها في الغزل والمحبّة الإنسانيّة والعشق الصّوفيّ، وحبّ الوطن، وهذا الحبّ يعكس المقدار العظيم للوَجْد والتّضحية والحنان والحبّ والشّغف الرّوحيّ، فهو قوّة

[1] فضل، صلاح: إنتاج الدّلالة الأدبيّة، مؤسّسة مختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة – مصر، ط1، د.ت، ص34.

[2] عزّوز، أحمد: جذور نظريّة الحقول الدّلاليّة في التّراث اللغويّ العربيّ، مجلّة التّراث العربيّ، دمشق – سورية، السّنة الحادية والعشرون، ع85، شوّال 1423هـ، كانون الثاني (يناير) 2021م، ص76.

تحثّ على الإبداع، وتماهي الذات مع من تحبّ، وكذلك الجمال المُجسّد لقيمة تثير التّأمّل، وهذا الجمال نراه في كلّ شيء حَسَن في هذا الوجود، كجمال الطّبيعة والجسد والرّوح والفكرة، ممّا يزيد مساحة الانسجام والصّفاء والسّموّ الرّوحي؛ لأنّ الجمال يستدعي الانجذاب الإنسانيّ، وهو يشعل جذوات الحبّ في الأعماق؛ لذا غالباً ما يندمج حقلا الحبّ والجمال ويتداخلان في صور شعريّة ثريّة بترادفاتها وتضاداتها.

تحدّث الشّاعر عمر أبو ريشة عن الحبّ والجمال في قوله[1]: [من السّريع]

عيناكِ سوداوانِ وحشيَّتانْ
أقرأُ في طَرفَيْهُما عُمري!
فكم طواني في مداه الزّمانْ
وما طَوَتْ نجواهما صَبري!
فهذهِ ليلتُنا الحاليهْ
عادت بأشتاتِ المُنى الغاليهْ
ما بكِ يا حسناء، يا سَمْرا؟
يا قطعةً من روحيَ الحرَّى

الحبّ مرتبط بالجمال والحُسن؛ لذا كان له نغَمه الخاصّ وتعبيره المُميّز لدى الشّاعر عمر أبو ريشة الذي استعان بها في الحقل المعجمي للجمال والحبّ، إذ تشير هذه الأبيات إلى تجربة وجدانيّة مليئة بالحبّ، فقوله: (أقرأ في طرفيهما عمري)، (يا قطعة من روحي الحرى) إبراز لتجسّد العمر والحياة في عينيّ المحبوبة، والوَجْد يظهر معلناً شدّة الحبّ والشّوق في قوله: (فكم طواني في مداه الرّفاق)، يظهر المعاناة والاحتراق الرّوحي، وفي قوله: (ما طوت نجواهما صبري) إعلان عن كون العيون تحمل سرّاً لا يخفى، يكشف تضاريس الرّوح، وكان النّداء (يا حسناء، يا سمراء)، في مترادفة توحي بالجمال، وتؤكّد أنّ العاطفة متّقدة يرافقها حضور شعوريّ قويّ.

ويصرّ الشّاعر على إبراز ملامح الجمال الشّرقيّ عندما قال: (عيناك سوداوان وحشيّتان) تعكسان الجمال والجاذبيّة، فسواد العيون رمز للسِّحر والعمق والحُسن، والوحشيّة

[1] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة، ص203-204.

تعطيهما غموضاً آسراً، ثمّ تأتي الرّوح الحرّى لتشمل جزءاً انفعاليّاً متّقداً، إنّه استدعاء جماليّ فريد يكشف جمال صورة المحبوبة وجمالها الأنثويّ السّاحر، ويأتي التّضاد في (طواني الزّمان، ليلتنا الحاليّة)، ليعلن الفرق بين زمن الوصال والفراق؛ لذا كان الصّبر على الكتمان واضحاً مقابل لحظة انتظار تحقّق الأمنيات في قوله: (ما طوت نجواهما صبري)، وهذا يوضح اندماجاً روحيّاً زمانيّاً مشبعاً بجمال المحبوبة.

وقد برز الحقل المعجميّ للجمال والحبّ وفقاً للآتي:

الألفاظ الدّالّة على الجمال
عيناك، وحشيّتان، سوداوان، حسناء، سمراء
الألفاظ الدّالّة على الحبّ
عمري، روحي الحرّى

لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد الغزل من التّصريح بأثر المحبوبة في الشّاعر، وهذا ما تراءى واضحاً لدى الشّاعر عمر أبو ريشة الذي بنى الحقلَين السّابقين على مفاهيم عامّة ألّفت بين ألفاظ الحقلين في شكل منتظم عبر الانتماء للمحور العامّ لكلّ حقلٍ منهما، كاشفاً عن العلاقات وأوجه التّرابط بين الدّلالات التي شاركت في خلق دلالة واضحة عن تجربة الحبّ التي عاشها الشّاعر.

ولو تأمّلنا المبنى الدّلاليّ لمفردات النّصّ السّابق لوجدنا المفردات ترتبط بأكثر من علاقة دلاليّة، وفق الآتي:

- المشترك اللفظي: الذي ورد في الفعل (طوى) فقد جاء هذا الفعل مرّتين، إحداهما بمعنى (أرداني) في قوله: (كم طواني في مداه الزّمان)، والأخرى بمعنى (أزالت) في قوله: (ما طوت نجواهما صبري)، وكان السّياق هو المحور الذي كشف دلالة هذا المشترك.
- التّرادف: الذي ورد في قوله: (عيناك، طرفيهما)؛ إذ أشارت المفردتان كلتاهما إلى العين، والشّاعر هنا يقصد عينَي المحبوبة.
- التّنافر: الذي ورد في صورة طباق السّلب المُتجلّي في اللفظتين الآتيتين: (طواني، ما طوت)، وهذا طباق سلبيّ أثار خيال المُتلقّي من خلال إبراز التّناقض الحادّ بين الطّيّ وعدمه.

وفي قول الشّاعر[1]: [من قبيح الوافر]

عَزَفَـــتْ وحَسِـــبْتُ أناملَهـــا ... فـــي نَشـــوتِها ســـالتْ لَمَســـاتْ
مُطْرقـــةٌ تُغـــرِقُ عالَمَهـــا ... فـــي يـــمٍّ مُصْـــطخِبِ الموجـــاتْ
وضَـــفائِرُها السّـــوداءُ علـــى ... الأوْتـــارِ مُرَوَّعـــةُ الوَثَبـــاتْ
عَزَفَـــتْ... عَزَفَـــتْ حتَّـــى جَفَّـــتْ ... فـــي حُمـــرةِ خَـــدَّيْها العَبَـــرَاتْ
ورَمَـــتْ بـــالعُودِ وهَمســـتُها ... فـــي ســـمعي تَخْنقُهـــا الزَّفَـــراتْ
قالـــتْ يـــا شـــاعرُ هـــل بَلَّغْتُـــكَ ... مـــا فـــي قلبـــي مـــن آهـــاتْ
يـــا شـــاعرُ... مـــا أضـــيَعَ لَحْنِـــي ... هـــو حُبِّـــي يَبْحَـــثُ عـــن كَلِمَـــاتْ!!

نجد التّصريح بالحبّ والجمال عبر ترائي حقلَيهما المكوّنين من الآتي:

الألفاظ الدّالّة على الجمال
أناملها، ضفائرها السّود، خدّيها

الألفاظ الدّالّة على الحبّ
نشوتها، لمسات، خمرة، قلبي، حبّي

لقد حاول الشّاعر إقامة دعائم تجربته الوجدانيّة عبر الاتّكاء على الحقلين المعجميين السّابقين، رابطاً بينهما بعلاقات دلاليّة عدّة، هي:

- علاقة الجزء بالكلّ: نحو ما نراه في قوله: (يمٍّ، الموجات)، فالموجات جزء من اليمّ، وهي جزء حقيقيّ منه.

يرسم الشّاعر كلمات الحبّ مشبعة بعاطفته المتّقدة، ولاسيّما أنّه أجاد اختيار مفرداته بما حقّق للدّلالة حضوراً مؤثراً، فحين ذكر العزف في قوله: (عزفت) جعلها في سياق تكراريّ أشار إلى مدى التّفاعل بينه وبين محبوبته التي ذرفت دموعها وهي تصغي إلى هذا العزف.

- التّضاد الحادّ الذي يتّضح من المفردتين (جفّت، العبرات)؛ لأنّ العَبَرات سائل مائي، والجفاف انعدام الماء.

[1] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة، ص268.

يشعر الشّاعر بالضّياع، وهذا ما نلمحه في قوله: (ما أضيع لحنِي)، ثمّ يقوم بإبراز ماهية هذا اللحن حين قال (هو حبّي)، ليكون الضّياع سبباً استدعى آليّة البحث عن الهداية (كلمات)، في قوله: (يبحث عن كلمات)، وهذا البحث يُعزّز ما ورد في الأبيات السّابقة من علاقات دلاليّة، ومن ألفاظ تنضوي تحت تجربة الحبّ، من خلال تمثّل هذه التّجربة في حقلَي الحبّ والجمال.

ويُكثر الشّاعر في ديوانه من إيراد تفاصيل الحبّ التي ارتأى لها الكثير من المشاهد الموحية، نحو قوله[1]: [من الوافر]

أنـــا فـــي خِـــدْرِ مَـــنْ أَهـــوَى أراقِـــبُ كـــلَّ مـــا تَفْعَـــلْ
غِطـــاءُ سَـــريرِها مُلْقـــى وَراءَ وِسَـــادِها مُهْمَـــلْ
ومِئْزَرُهـــا علـــى الكُرســـيِّ لا يُطْـــوَى، ولا يُنْقَـــل...
أتَـــتْ مِرآتَهـــا وَرَنَـــتْ إلـــيَّ بِطَرْفِهـــا الأَكْحَـــلْ
وَأَنْمُلُهـــا تُلَمْلِـــمُ مِـــنْ ضَـــفائرِ شَـــعْرِها المُرسَـــلْ
ولمَّـــا ازَّيَنَـــتْ خَلَعَـــتْ عليهـــا بُرْدَهـــا الأفضـــلْ
وماسَـــتْ وهـــو مَزْهُـــوٌّ يُحـــيطُ بِقَـــدِّها الأمْثَـــلْ
فقالَـــت كيـــف تلقـــاني بـــه يـــا شـــاعري الأوّل؟!
فقلـــتُ وطرفـــي المشـــدود مـــن آلائهـــا يَنْهَـــلْ
جميـــلٌ لِـــبْسُ مَـــنْ أَهـــوَى ولكـــن عُرْيُهـــا أجْمَـــلْ!!!

يشير الشّاعر إلى تعلّقه بالمحبوبة، فالشّاعر يراقب بدقّة (أراقب كلّ ما تفعل)، وهذا يعكس اهتمامه وانشداده للمحبوبة، وإعجابه وانبهاره بها، ولاسيّما حين يصف هيئتها ولباسها وكلّ ما يتعلّق بها حتّى زينتها وحركاتها، نحو قوله: (أنملها تلملم عن ضفائر شعرها المرسل)، ولا يكتفي بذلك بل يستحضر حواراً حميمياً معها، ومع أنّه قصير إلا أنّه يبرز العلاقة الوطيدة بين الشّاعر والمحبوبة في قولها: (كيف تلقاني به يا شاعري الأوّل)، فكان جوابه (جميل لبس من أهوى ولكن عريها أجمل)، ممّا يؤكّد الصّلة العاطفيّة والجسديّة بينهما، فالمحبوبة جميلة الجسد

[1] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة، ص274.

بعيونها الكحلاء، وأناملها وشعرها المرسل، وقدّها المرهف، ونجد زينتها ولباسها (بُردها الأفضل)، و (مئزرها)، ووقف الشّاعر أيضاً عند (غطاء سريرها) لإبراز جمال كلّ ما يتعلّق بهذه المحبوبة.

ومن الطّبيعي أن يرافق جوّ الحبّ والجمال المحبوبة، فقد جسّد الشّاعر الحركة عندما قال: (وماست وهو مزهوّ)، معلناً رشاقتها، فشكّل السّلوك المفعم بالمراقبة والحبّ أساس المشهد حين قال: (أراقب)، (طرفي المشدود)، (أهوى)، فكانت عناوين واضحة لعلاقة وجدانيّة ومنزلة خاصّة بالمحبوبة في أعماق الشّاعر الذي استحضر التّضاد بين (العري، اللباس) ليبرز الفرق بين الطّبيعيّ العفويّ والمصطنع، وكذلك الملاحظة الصّامتة المتأنّية بمراقبة المحبوبة والتّحوّل إلى الحوار والبوح.

برزت تجربة الحبّ متمثّلة بحقلي الجمال والحبّ، وفقاً للآتي:

الألفاظ الدّالّة على الجمال
مرآتها، طرفها، الأكحل، أنملها، ضفائر، شعرها المُرسَل، ازّينت، الأفضل، جميل، أجمل
الألفاظ الدّالّة على الحبّ
أهوى، أراقب

فقد جاء حقل الجمال بمفردات تشير إليه، وبعض هذه المفردات جاء ليُعطي صورة واضحة وصريحة تعترف بهذا الجمال نحو: (الأمثل، أجمل)، وبعض تلك المفردات تكرّر ليُعطي التّجربة الشّعوريّة مزيداً من العُمق نحو تكراره لفظة (أهوى) التي رسّخت هذا الحبّ وزادته حضوراً وتأثيراً.

يحاول الشّاعر أن يكوّن من مفردات حقلَيه الدّلاليَّين مشهداً وجدانيّاً تراءى بوساطة الكثير من الوحدات الدّلاليّة المُتضمّنة في الآتي:

- أنا في خَدر من أهوى.
- رَنَتْ إليّ بطرفها الأكحل.
- تلملم من ضفائر شعرها المُرسَل.
- لمّا ازّينت خلعت عليها بردها الأفضل.
- يُحيط بقدّها الأمثل.

- جميل لبس من أهوى.

فالشّاعر يتوق للمحبوبة؛ لذا على الرّغم من كلّ ما يغمره حيالها من شعورَي الفتنة بجمالها والإعجاب بها، فهو يتوق إلى ذاك العريّ الفاضح لشهوته تجاه هذه المحبوبة التي وصف: (عريها بالأجمل)، وهذا يبوح بالمستوى اللاشعوريّ الذي يحكم العلاقات الدّاخليّة التي تتّقد في أعماق الشّاعر بين إعجابه بمن يهوى، وحبّه إيّاه.

وفي قوله[1]: [من المجتث]

وحينمـــــا الشّـــــمسُ هَمَّـــــتْ تغيـــــبُ لـــــم تطمئنّـــــي
وملـــــتِ عنّـــــي كـــــأنّي غَوايـــــــة المُتجنّـــــي
وقلـــــت لـــــي باضـــــطراب أخـــــافُ قربَـــــك منّـــــي
وحينمـــــا الليـــــل أســـــرى مـــــا بـــــينَ جَفـــــنٍ وجَفْـــــنِ
ضـــــممتني بـــــذراعَيْ تلهّـــــفٍ وتمنّـــــي
وقلـــــت لـــــي فـــــي ذهـــــولٍ أخـــــافُ بُعـــــدَكِ عنّـــــي

إنّ إحساس الشّاعر مُتّقد استدعى وقوفه أمام المُتغيّرات الوجدانيّة الطّارئة على تجربته الشّعوريّة موقف البصير بكلّ أبعاد هذه التّجربة التي استحضر لها علاقات دلاليّة شتّى، هي:

- التّرادف: الذي ورد بين مفردتي (تلهّف، تمنّي)، وكلتاهما لفظتان تشيران إلى الرّغبة في الشّيء، فالشّاعر يُصرّح عن لهفة المحبوبة لضمّه ورغبتها في هذا الضّمّ: (ضممتني بذراعي تلهّف وتمنّي)، وهذا وفقاً للحقل المعجميّ للحبّ الذي تمثّل في الآتي:

الألفاظ الدّالّة على الحبّ
قربك، ضممتني، تلهّف، تمنّي، أخاف بعدك

وهذا الحقل وضّح تجربة الحبّ وزادها حضوراً في المستوى الدّلاليّ.

الشّاعر متعلّق بعاطفته وحبّه، وهذا ما نراه بقوله: (ضممتني بذراعي تلهف وتمنّي)، فهو يترجم الحبّ إلى سلوك وفعل جسديّ حميم يعكس الحبّ، ثمّ نجد التّناقض (قربك منّي،

[1] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة، ص275.

بعدك عنّي) الذي يعكس اضطراب القلب أمام الحبّ، والإحساس بالخوف على المحبوب في القرب والبُعد؛ لذا كان جوّ الخطاب لحظة من لحظات الرّغبة في استمراريّة الحوار مع المحبوبة.

ويأتي التّضاد الزّمنيّ العاطفي المنتقل بين الغروب والليل موحياً باستمرار حضور الحبّ في كلّ الأوقات، وتناوب الجمال وتماهيه مع الطّبيعة التي برزت في: (الغروب/تغيب، الليل)، كإطار واضح لتجربة الغرام؛ لذا كان حال المحبوبة بين اضطراب وذهول إعلاناً لصدق العاطفة التي امتلأت بالرّغبة الشّديدة التي أبرزتها ثنائيّة التّرادف (تلهّف، تمنّي).

وفي قول الشّاعر[1]: [من الرّمل]

سَطَّرَ الحُبُّ للورى	من دمي آيةَ العِبَرْ
آيةً صُوِّرَتْ على	لوحِها أحزنُ الصُوَرْ
هذه سَلوة الفؤادِ تلاشتْ	فحرامٌ على فؤادي التَّسلِّي
يا سراجَ الآمالِ قد نضَبَ الزّيتُ	فبَدِّدْ هذي الخيوطَ وأَبلي
يا فؤادي دَعِ الوجيبَ لأقرا	فوق رأسِ الحبيبِ سُورةَ ثُكلي
عدتُ للحُبّ والهوى	يا مُنى السّمعِ والبَصَرْ
ولُبانات خافقي	بين جنبيّ تستَعِرْ

يتراءى أمامنا حقل الحبّ مُتمثلاً بالآتي:

الألفاظ الدّالّة على الحبّ
الحبّ، سلوة، الفؤاد، فؤادي، الآمال، الحبّ، الهوى، لبانات، خافقي

وهذه المفردات تضافرت مع الحقل المعجميّ للمعاناة بسبب ما استجرّه هذا الحبّ، نحو ما نراه في الآتي:

الألفاظ الدّالّة على المعاناة
دمي، أحزن، تلاشت، حرام، نضب، بدّد، أبلي، ثكلي، تستعر

وقد رسم الشّاعر الحقلَين السّابقين في نوافذ دلاليّة تشير إلى فداحة ما تعرّض له بسبب الحبّ، وقد أقام هذه النّوافذ وفقاً للعلاقات الدّلاليّة الآتية:

[1] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة، ص276-277.

- التّرادف: الذي برز بين مفردتي (الحبّ، الهوى).
- التّنافر: الذي تمثّل بمفردَتي (السّمع، والبصر)، وهما تشيران إلى انتساب اللفظتين إلى الحواس، لكنّهما يمتلكان دلالتين متنافرتين.
- علاقة الجزء بالكلّ: في قوله: (سراج، الزّيت)، وهما مفردتان تشيران إلى أنّ الزيت جزء من السّراج، فلا سراج من دون زيت، أي اجتمع الجزء مع الكلّ في علاقة دلاليّة تشي بإشعاعات تلك الدّلالة.

ويحاول الشّاعر دائماً أن يرسم لمشاهد الحبّ مزيداً من الحضور الجماليّ حين يُبرز للمُتلقّي ما أثاره هذا الحبّ في أعماقه من قهر وألم ومعاناة، لأنّ هذه المعاناة محمّلة بالفَقْد (سلوة الفؤاد تلاشت)، ومُحمّلة بالحرمان (حرام على فؤادي التّسلّي)، وهي تجربة مبنيّة على التّضحية في المعاناة (سطّر الحبّ للورى من دمي آية العبر)، ثمّ نجد تفاقم هذه المعاناة، نحو قوله: (أحْزن الصّور)، فالشّاعر يشعر بالكآبة التي عمّقها قوله: (أقرأ فوق رأسِ الحبيب سورة ثكلي).

وقد استمدّ الشّاعر لفظة (لبانات) من الجذر (لبن) الذي يفيد معاني الرّجاء، والرّغبة، وكانت لفظة خافقي مركزاً ينتمي إلى حقل الأحاسيس الدّاخليّة، لكنّ الشّاعر حدّد حاجة الخافق بتركيب (بين جنبي) الذي أشار إلى موقع مكانيّ داخليّ، فأفاد دلالة الاحتواء، ثمّ استحضر لفظة (تستعر) لتبرز دلالة التّصاعد والشّدّة، وبناء على هذه الدّلالات نجد استناد الشّاعر إلى علاقات دلاليّة عديدة، نحو: علاقة الجزء بالكلّ، فـ (خافقي) جزء من الشّاعر وجنبه، ونرى علاقة الإسناد الدّلاليّ بين (لبانات) و (تستعر)، عبر إسناد غير مباشر منطقيّ، فالأمنيات لا تشتعل، لكن تمّ نقل الدّلالة باستعارة لغويّة نقلت الدّلالة من حقل الرّغبة إلى حقل الاشتعال، وتراءت الصّورة اللغويّة بوساطة الدّمج بين الحقلين؛ فأعطت الرّغبة سمات حراريّة.

خاتمة:

كان الحبّ لوناً من ألوان المشاهد الوجدانيّة التي استعان بها الشّاعر عمر أبو ريشة، ، فكان حقل الحبّ عند عمر أبو ريشة المختبر الحقيقيّ الذي انصهرت فيه لغته الرّشيقة مع عاطفته المتأجّجة، ليقدّم لنا تجربة إنسانيّة فريدة، تتقاطع فيها ملامح الجمال الشّرقيّ بظِلال الخيبة الوجوديّة، ممّا جعل من شعره مرآة تعكس انكسارات الذّات الإنسانيّة، وبعد الوقوف على هذا الحقل الدّلاليّ في شعره، توصّل البحث إلى النّتائج الآتية:

- كشف البحث أنّ تجربة الحبّ عند (أبو ريشة) ليست عاطفة أحاديّة الجانب، بل هي جدليّة مستمرّة بين حقلين متقابلين؛ حقل الجمال الذي يمثل القوّة الباعثة على الخلق والإبداع والدّهشة، وحقل الخيبة الذي يجسّد الانكسار أمام الواقع وتهاوي المثاليّة الرّومانسيّة.
- تعدّدت الألفاظ الدّالّة على الحبّ في شعر عمر أبو ريشة، محمّلة بطاقة الإحساس وأثره في النّفس الشّاعرة.
- ظهرت تجربة الحبّ من خلال علاقات عديدة، نحو: التّرادف والتّنافر والتّضاد وغيرها من العلاقات التي كشفت الحب بوصفه قيمة إيجابيّة، وما يتركه من رواسب في رحلتي الوصل والخيبة المرافقة للفراق والصّدّ.
- تبيّن من خلال الحقول المعجميّة أنّ المرأة في شعر (أبو ريشة) تتجاوز الحضور الجسديّ لتصبح رمزاً للوجود بأسره؛ فهي الوطن، وهي الحياة، الأمر الذي يستوجب الدّهشة والاعتذار.
- أبرز التّضاد مقدار الألم الذي أحسّ به الشّاعر في حضرة الحبّ، ممّا زاد من عمق إحساس الشّاعر بالمفارقة بين الحبّ بوصفه إحساساً دافئاً، والفراق بوصفه حالة مؤلمة استدعت الألم والاضطراب والقهر والخيبة.
- كشفت الدّراسة أنّ حقل الحبّ لا ينفصل عن الحقول الأخرى؛ فكثيراً ما يستعير الشّاعر ألفاظاً من حقول الطّبيعة، مثل: (الزّهر، الغيم، النّور) ليُضفيها على المحبوبة، ممّا يوسّع الدّلالة.

ويمكن القول: إنّ إحساس عمر أبو ريشة بالحبّ استدعى وقوفه أمام المتغيّرات الوجوديّة الطّارئة على تجربته الوجدانيّة، متأمّلاً أبعاد تلك التّجربة، مجسّداً إيّاها في شعره بكلّ إتقان وروعة.

ثبت المراجع والمصادر

القرآن الكريم

أوّلاً: المصادر:

1- الدّهان، محمّد سامي: الشّعراء الأعلام في سورية، دار الأنوار، بيروت–لبنان، ط2.

2- أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة- القصائد، تحقيق: فايز الدّاية، وسعد كليب، ومحمّد قجّة، الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب، وزارة الثّقافة، دمشق – سورية، ط1، 2017م.

3- ابن منظور: لسان العرب، تح: أمين محمّد عبد الوهّاب، ومحمّد الصّادق العبيديّ، دار إحياء التّراث العربيّ، مؤسّسة التّاريخ الإسلاميّ، بيروت – لبنان، ط3، 1419 هـ – 1999 م.

ثانياً: الكتب:

1- جيرو، بيير: علم الدّلالة، ترجمة: د. منذر عيّاشي، تقديم: د. مازن الوعر، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، دمشق – سورية، ط1، 1988م.

2- دندي، محمّد إسماعيل: عمر أبو ريشة دراسة في شعره ومسرحيّاته، دار المعرفة، دمشق – سورية، ط1، 1408هـ- 1988م.

3- الشّيخ، عبد الواحد حسن: العلاقات الدّلاليّة والتّراث البلاغيّ العربيّ – دراسات تطبيقيّة، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنّيّة، القاهرة – مصر، ط1، 1419 هـ- 1999م.

4- عبد الجليل، عبد القادر: علم اللسانيّات الحديثة، دار صفاء، عمّان – الأردن، ط1، 2002م.

5- عمر، أحمد مختار: علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ط4، 1993م.

6- فضل، صلاح: إنتاج الدّلالة الأدبيّة، مؤسّسة مختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة – مصر، ط1، د.ت.

7- مبارك، مبارك: معجم المصطلحات الألسنيّة فرنسي – إنكليزي – عربي، دار الفكر اللبنانيّ، بيروت – لبنان، ط1، 1995م.

8- النّعماني، عبد العزيز: عمر أبو ريشة شاعر الحبّ والوطن، الدّار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة – مصر، ط1، 1418هـ- 1997م.

ثالثاً: الدّوريّات:

1- البالكي، نهاد نادر حمد؛ حامد، هشام فالح: العلاقات الدّلاليّة المنطقيّة وأثرها في انسجام النّصّ دراسة في قصائد عربيّة لعدد من شعراء الكورد، مجلّة (لغة – كلام)، جامعة غليزان – الجزائر، مج 7، ع4، سبتمبر 2021م.

2- الزّيدي، ابتهال كاصد ياسر: العلاقات الدّلاليّة بين ألفاظ الإبدال الصّوتي في القرآن الكريم، مجلّة كلّيّة التّربيّة للبنات، العراق، مج 19، ع2، 2008م.

3- عبّاس، زهرة خضير: العلاقات الدّلاليّة في شعر ابن دريد الأزديّ (ت321هـ) دراسة تحليليّة في ضوء لسانيّات النّصّ، مجلّة الأستاذ، كلّيّة التّربيّة، جامعة بغداد، ع227، كانون الأوّل، 1440هـ- 2018م.

4- عزّوز، أحمد: جذور نظريّة الحقول الدّلاليّة في التّراث اللغويّ العربيّ، مجلّة التّراث العربيّ، دمشق – سورية، السّنة الحادية والعشرون، ع85، شوّال 1423هـ، كانون الثاني (يناير) 2021م.